# الجن العاشق

« إن أروع ما يحدث لنا عادة ما يحدث مصادفة، وتكمن روعته فى أنه يغير حياتنا جذريًا إلى ما لم نكن نتوقعه» .

لذا كنت أنتظر تلك الصدفة التى من المفترض أنها ستغير حياتى إلى ما لم أتوقعه، ولم أضع فى حسبانى حينها أنها قد تغير حياتى للأسوأ .......

لست تلك الفتاة الملفتة للنظر، فلم أحظى بقسط كبير من الجمال، كما أن ثقافتى محدودة إلى حد ما، علاوة على أننى من أسرة متوسطة الحال فلسنا أثرياء حتى إلينا الخاطبون، لذا طالت عنوستى أكثر مما ينبغى؛ فظننت أننى لن أتزوج مطلقًا، وكلما تزوجت فتاة فى شارعنا المتشعب الدروب، أختلى بنفسي فوق سطوح منزلنا البسيط لأبكى حظى العثر، وبعدما أسكب قطرات دمعى أستريح قليلًا .

كم كنت أتمنى أن أكون فتاة جريئة تختلط بالشباب لأحظى بذاك الفارس الذى تحلم به كل الفتيات، لكن خجلى وإحساسى بعدم الثقة كانا يمنعانى مما تبرع فيه فتيات شارعنا، كنت أسير فى خط مستقيم، إنطوائية وهادئة بدرجة غريبة .

وذات ليلة بينما تدوى أصوات الموسيقى الصاخبة فى شارعنا، صعدت للسطوح أرى أكثر مشهد يبكينى، وقد كان عرس ابنة جارتنا، يقابل منزلهم

منزلنا، رغم إرادتى بكيت عندما نظرت لوجهها المصبوغ بتلك الألوان الزاهية، وعندما تأملت فستانها الأبيض، وعريسها الذى يداعبها أمام المدعوين، وتلك الفرحة التى تغمر الوجوه، وذاك الحبور الذى يلاقيانه من الجميع، وعندما وقفا يتراقصان على أنغام الموسيقى وسط حشد من أقاربهم لا أدرى ما الذى دهانى؛ إذ جلست القرفصاء خلف الجدار كى لا يرانى أحد وبكيت كما لم أبكى من قبل، وفجأة شعرت بيد تربت على كتفى، وسمعت صوتًا يهمس فى أذنى قائلًا : لا تبكى، أنا أحبك .

نهضت مفزوعة، وقد اختلج قلبى وارتفعت نبضاته، وأخذت أتلفت يمينًا ويسارًا، فلم أرى أحدًا، كان السطوح خاويًا بخلافى وحظائر الطيور، وذاك الظلام الذى يلف الخلاء حولى، اتجهت للحظائر أتفقدها، ظنًا منى أن صاحب ذاك الصوت يختبأ داخل إحداها، إلا أننى لم أرَ سوى البط والدجاج يغفو متلاصقين تحت ضوء القمر، فتعجبت وازداد ارتجافى، وأسرعت بالنزول لأسفل .

فوجئت برؤية أمى تجلس على أريكة تتوسط البهو تشاهد التلفاز، وقد كان اضطرابى وخوفى جليًا؛ إذ سألتنى : ماذا بكِ ؟ أهناك خطب ما ؟

فهززت رأسى نافية وقلت : لا شئ، أنا بخير .

ثم دلفت إلى حجرتى قبل تكرار سؤالها ذاته بصيغة مختلفة .

تلك الليلة لم أنم ، وأنى لى أن أنام رغم كل محاولاتى التى باءت بالفشل، فكلما غفوت شعرت بيد تربت على كتفى وسمعت همسًا يقول: لا تبكى .

وبعد منتصف الليل سمعت كركبة فى المطبخ، فظننت أن أحد أخوتى يعد لنفسه قدحًا من الشاى، فقلت لنفسى : لما لا أنضم إليه ؟

لاسيما وقد جفانى النوم، كان المنزل يغرق فى الظلام ماعدا المطبخ، كان الصوت يرتفع كلما اقتربت منه، وعندما ولجته سكتت الكركبة ولم أجد به أحدًا؛ كان خاويًا تمامًا، وكل شئ فى موضعه، شعرت بالخوف، وعجزتا قدمى عن حملى، فكدت أقع على الأرض، ولا أدرى من أين واتتنى الجرأة للجرى إلى غرفتى، وأغلقت الباب، ثم اتجهت لفراشى أتدثر بالغطاء .

حاولت النوم مرارًا وتكرارًا، فلم أستطع ولا أدرى ما تلك اللعنة التى أصابتنى ؟!

عقلى لا يكف عن التفكير، وقلبى يدق كقرع الطبول، وأتوق لبزوغ شمس النهار، ولولا خجلى لأسرعت إلى غرفة والدىَّ أخبرهما بما حدث .

وبعد مدة لا أدرى كمها، سمعت طرقًا على الباب، نظرت لذاك الغطاء الذى يلف جسدى فعلمت أننى غفوت، سمعت نداءات أمى المتكررة من خلف الباب المغلق، فأدركت أن الوقت قد تأخر كثيرًا، تململت فى فراشى، وكل ذرة بجسدى منهكة، ولدىَّ رغبة عارمة فى النوم مجددًا، لكن نداءات أمى الصاخبة حالت دون ذلك .

نظرت لى أمى مشدوهة حينما فتحت الباب، وقالت : هل أنتِ مريضة ؟

أدهشنى سؤالها فقلت : لماذا ؟

- لأنك تأخرت عن موعد استيقاظك بكثير، علاوة على شحوب وجهك، وذبول عينيكِ .

- نعم أشعر بالإعياء، ربما لأننى لم أنم جيدًا ليلة أمس .

- وما الذى منعكِ النوم ؟!

- حـدث شئ غريـب البارحـة؛ لقـد سـمعت صـوت كركبـة الأوانى فى المطبـخ أمـس، وعندمـا توجهـت إليـه لـم أجـد أحـدًا مطلقًـا .

- ماذا ؟! ومتى حدث هذا ؟

- بعد منتصف الليل بفترة وجيزة .

- شردت أمى قليلًا ثم قالت : ربما تتوهمين ...

فى مسـاء ذاك النهـار رغـم رغبـتى فى النـوم كنـت خائفـة، كنـت أشـعر بـأن هنـاك شـيئًا مـا يلاحقـنى، وعندمـا دلفـت لغرفـتى بعـد منتصـف الليـل، توسـدت فـراشى بعدمـا قـرأت أذكار النـوم الـتى جلبتهـا مـن الإنترنـت، وأخـذت أقـرأ القـرآن حـتى غفـوت، فرأيـت كأنـنى أقـف فى محطـة القطـار، أنتظـر أحـدًا، وفجـأة مـر أمامـى شـابٌ وسـيم، وبعدمـا ابتعـد عـنى خطـوات معـدودة، توقـف وأخـذ ينظـر إليَّ متفرسًـا ملامحـى بتمعـن، ثـم أقبـل علـيَّ وحدثـنى حديـث لـم أفهمـه، ومـد يـده إليَّ فمنحتـه يـدى وقـد شـعرت بالانسجام معـه وكأنـنى كنـت أنتظـره منـذ أمدٍ بعيـدٍ، وسرنـا متقاربـين، وفجـأة تلاشـت محطـة القطـار مـن حولنـا وظهـر مـكان آخـر، لـم أر مثلـه مـن قبـل؛ كنـا نسـير عـلى أرض بسـط عليهـا بسـاط أخـضر اللـون، وتحيـط بنـا عـلى كلا الجانبـين أشـجار ذات أشـكال وألـوان شـتى، يتـدلى منهـا ثمـار لـم أراهـا فى حيـاتى السـابقة ذات ألـوان متغايـرة: حمـراء وصفـراء وبرتقاليـة وخـضراء .

كانـت الشـمس ترتـدى ثوبهـا الأحمـر القـانى، والنهـار عـلى وشـك الأفـول، مد يـده لإحـدى الأشـجار وقطـف لى ثمـرة تفـاح كبـيرة الحجـم حمـراء، أعطاهـا لى بينمـا يقـول بصـوت رخيـم : هـذه الشـجرة غرسـتها لأجلـكِ منـذ أن كنـتِ صغيرة .

قطمت منها قطمة فبهرنى طعمها الجميل، وسألته :

-كيف غرستها لى منذ كنت صغيرة ؟ أكنت تعرفنى؟

-أعرفك منذ يوم مولدك؛ فلقد جئتى إلى الدنيا لأجلى .

ضحكنا سويًا فقد ظننت أنها مزحة، كان حلمًا جميلاً، كم تمنيت ألا أستفيق منه، إلا أنها الرياح عادة ما تأتى بما لا تشتهى السفن، فلقد انتزعتنى منه نداءات أمى المتكررة .

وعندما فتحت باب غرفتى، نهرتنى أمى وأخذت تتذمر من كسلى وفجأة قالت :

-ما هذه الهالات قاتمة اللون تحت عينيكَ، هل تشعرين بالمرض ؟

قلت : لا بالعكس، أنا اليوم سعيدة وأشعر بالهمة والنشاط .

وبعد تناول الإفطار، بدأت فى تنظيف المنزل، وإعداد طعام الغداء، وأنا لا أنفك أفكر فيه وفى الليلة الماضية، وبينما أقف أمام البوتجاز أطهو بعض الطعام، شعرت بأحد يحتضننى من الخلف، فزعت واستدرت أرى الفاعل، فلم أجد أحدًا، فاستعذت بالله من الشيطان وقلت لنفسي : ربما أتوهم .

وعندما حلّ المساء ذهبت إلى غرفتى للنوم مبكرًا، عساي أراه مرة أخرى ...

وما إن وضعت رأسي على وسادتى غرقت فى نوم عميق، ورأيته يقف أمام بحر لم أرَ مثله من قبل؛ مياهه صافية رائقة، تنساب كصفحة من الجليد الملساء إلا من بعض التموجات الخفيفة، اقتربت منه وقد كنت أشتاق إليه، فقال لى : تأخرتى كثيرًا، لما لا تظلين معى هنا .

وأشار بيده لما حوله فظننت أننا نقف فى جنة الفردوس، جمالًا لم تشاهده عيناى من قبل؛ أشجار وحشائش خضراء تتخللها ورود حمراء وصفراء ووردية اللون، وطيورٌ جميلة تحلق فى الفضاء حولنا، وتغنى

بصوت عذب يختلط مع هدير الماء الصادر من شلال صغير يصب مياهه فى البحيرة الهادئة، فيضفى على المشهد جمالًا خلاب، مد يده لى فمنحته يدى فاحتواها فى كفه وسرنا متلاصقين حتى ظهر أمامنا من عدم بيت صغير تحيط به أشجار الورد والرياحين تتسلقه من أسفله إلى أعلاه، فأشار له وقال : هذا منزلى .

صمت برهة ثم أردف :

-ما رأيك ببعض الراحة ؟

سبقنى لبابه وفتحه لى فدخلته وأخذت أتجول بعينى فيه، ورغم كل هذا الجمال الذى يحيط به، إلا أنه معتم من الداخل لولا تلك الشموع المنتشرة بداخله مضاءة فى شمعدانات معلقة على جدرانه، ما كنت سأرى شيئًا مطلقًا، لم أرَ سوى بهو فسيح وفى أحد أركانه غرفة موارب بابها، رأيت من تلك الفتحة الضيقة فراشًا، أمسك بيدى وقال :

- تعالى .

- لا لا أريد .

- لا تخافى هذا قدر .

- لست متأكدة ! لما لا تكون حقيقة ؟!

-أنا حقيقة .

اقترب منى وأحاطنى بذراعيه ودخلنا تلك الغرفة معًا .

صباح ذلك اليوم كنت أشعر بالإعياء الشديد والخوف مما حدث، ومما ينتظرنى.

لا أعرف حقًا طبيعة ما حدث فى ذاك الحلم، إلا أنه انتابنى شعور سيئ حيال ما حدث، وعندما نهضت من فراشى متثاقلة وقفت أمام مرآتى أتفحص انعكاس صورتى، فرأيت تلك الهالة القاتمة التى بدت كأكياس سوداء تحوى بداخلها أمارات الإعياء والمرض، وفى الوقت الذى كنت أفكر فيه بإخبار أمى بكل ما حدث، شعرت رياح ساخنة تحيط بى كأنها تحتضننى، فصرخت وانكمشت على نفسي فوق فراشى قائلة :

-ابتعد عنى

وأخذت أردد الاستعاذة، فتحت أمى الباب وقد أفزعتها صرخاتى، وزادت مخاوفها عندما رأتنى على تلك الحالة، فاقتربت منى وسألتنى :

-ماذا حدث ؟ لماذا تصرخين ؟!

لم أجد بدًا من مصارحتها بكل شئ، فجلست بجوارى على حافة الفراش مذهولة، لا تصدق ما أقول، وبعدما انتهيت قالت :

-سأخذك اليوم لأحد الشيوخ، ربما يكون مس أو سحر .

وما إن لفظت أمى كلماتها تلك حتى سمعنا دوى انفجار شيئ ما فى المطبخ، فأسرعنا له فوجدناه يحترق، النيران تلتهم كل شئ حتى الثلاجة، أسرع أخوتى يسكبون الماء على النيران، بينما وقعت أنا جالسة بجوار الحائط المواجه للمطبخ، وبعدما خمدت النيران تبادلنا أنا وأمى نظرات الفزع.

وعند مغيب شمس هذا اليوم كنا نسلك دروبًا متداخلة فى طريقنا لأحد الشيوخ، التى دلتنا عليه إحدى صديقات أمى، وأخذت تسرد لنا بركاته وقدرته على العلاج بسرعة، وقد يشفى العليل من الجلسة الأولى .

وصلنا لباب خشبى مزدوج كبير الحجم فى نهاية أحد الدروب، دقت صديقة أمى الباب ففتح لنا رجل يرتدى جلبابًا أبيض وعمامة على رأسه، ولما رأى صديقة أمى رحب بها، كأنه يعرفها جيدًا، وسمح لنا بالدخول، فوجدنا أنفسنا فى ساحة واسعة يجلس بها الناس جماعات يتحدثون، فاتخذنا موضعًا حتى يحين دورنا، تبادر لسمعى أحاديث وثرثرات شتى عن عالم السحر والجان، وكانت أكثر القصص إثارة قصة الفتاة التى يسكنها قبيلة من الجان!

وبعد ساعتين أو أكثر حان دور دخولنا للشيخ، فأقبل علينا رجل آخر يرتدى جلبابًا أبيض كذلك، وقال لنا :

- تفضلوا بالدخول .

اصطحبنا للغرفة التى سوف نلتقى فيها بالشيخ، كانت غرفة فسيحة تعبقها رائحة البخور، ويضيؤها ثلاثة مصابيح متفرقة فى سقفها، وعلى أريكة خشبية كبيرة يجلس رجل خمسينى معمم، يرتدى جلبابًا ذا أكمام واسعة، أو ربما تبدو واسعة لنحافته الشديدة، أمامه طاولة عليها مبخرة وبضع قارورات بها مواد سائلة، قال :

-تقدّموا .

أقبلنا عليه فأشار لنا بالجلوس، جلسنا على الأريكة الأخرى المجاورة لأريكته، وقالت صديقة أمى مشيرة لى :

-هذه هى الفتاة التى أخبرتك عنها صبيحة اليوم .

هز رأسه وقال :

-أعرف وقد طلبت منك إحضارها اليوم لخطورة الأمر

صمت برهة بينما يتفحصنى بنظراته النافذة التى كانت ترعبنى أكثر من هذا المكان، ثم أردف موجهًا كلامه لى:

-تعالى هنا يا ابنتى.

قال هذا مشيرًا إلى موضع بجواره، نظرت لأمى بريب فهزت رأسها بواجب طاعته، فانتقلت إلى جواره .

رفع غطاء مبخرته بعدما جلست وألقى فيها بعض البخور، فاختنقت من الدخان المتصاعد وسعلت بشدة، فلما رأى هذا قرّب منى المبخرة حتى وضعها أمامى مباشرة، وقال:

-ما اسمك ؟ وما اسم والدتك ؟

لم أستطع الرد، فقد كنت أختنق، أجابت أمى بالنيابة عنى، فقال :

-عرفتهما من صديقتك صباح اليوم، جل ما أريده أن تتحدث هى إذا استطاعت، ابنتك يخاويها مارد، يعشقها منذ أن كانت صغيرة، كان ينفر منها الخاطبين، ولما صار جسدها مهيأ للإنجاب ...

كانت تلك هى آخر الكلمات التى وعيتها قبل أن أختنق، نعم أختنق .

شعرت بيدين قويتين تحيطان بعنقى وتضغطتا بكل قوتهما، حتى سقطت على الأرض أصارع الموت، بينما أرى أمام عينى وجهًا مرعبًا، كأنما فر للتو من الجحيم يقول لى بصوت كالرعد :

-أنتِ ملكى وسوف تظلين ملكى .

سمعت نداءات وأيدٍ تهزنى وماء يسكب فى وجهى، كانت النداءات تتزايد ميزت من بينها صرخات أمى :

- ابنتى ضاعت منى ... دعاء ... دعاء .

بعـد قليـل مـيزت الأصـوات كلهـا وأضـاءت أمامـى الظلمـة الـتى كانـت تغرقـنى منـذ قليـل، رأيـت حينمـا فتحـت عيـنى نظـرات الشـيخ الفزعـة لى، بينمـا احتضنـتى أمـى وبكـت بشـدة، فقالـت لهـا صديقتهـا :

-لا تقلقى يا عزيزتى، ابنتك ستكون بخير، اطمئنى .

سألنى الشيخ عما حدث فأخبرته، فقال :

-سـوف أعطيـكِ ميـاه مقـروء عليهـا قـرآن تـشربى منهـا وتسـتحمى بهـا، ولا تنامـى فى الغرفـة بمفـردك، ولابـد أن تـأتى للجلسـة الثانيـة بعـد يومـين .

وفى أثناء عودتنا سألت أمى عن بقية كلام الشيخ فقالت :

-قـال أن هـذا المـارد اختـارك لتكـون أمًـا لابنـه، وقـد كنـت أنـا السـبب؛ فقـد كنـت منـذ صغـرك أهتـم بتزينـك وتعطـيرك، وعودتـك عـلى هـذا، وقـد كان هـذا سـبب عشـق هـذا الجـنى لـكِ، منـذ أن كنـت فى المرحلـة الإعداديـة وهـو يتبعـك كالظـل، وكلمـا نضجـت زاد افتتانـه بـكِ، وكان ينفـر الخاطبـين منـك لأنـه يريـدك لـه، وكلمـا بكيـت حـين زواج فتـاة كان يـزداد تعلقًـا، إلى أن قـرر الظهـور فى حياتـك لينجـب منـك .

كانـت تقـول هـذا وعينيهـا تقطـران الدمـع كالسـيول الموسـمية، بينمـا أنـا يتمـزق قلـبى بسـهام الخـوف وسـياط العـار، أردفـت :

-ولقد نجح فى وضع بذرته بداخلك

رمقت بطنى بنظراتها وقالت :

-إنك تحملين ابنه الآن، ولن يسمح لأحد بأذيته .

شعرت برأسى تدور وغبت عن الوعى .

أشعر أننى غارقة فى محيط من الظلمة، أين أمى ؟ لماذا لم تنم بجوارى كما أمرنا ؟!

سمعت صوت احتكاك الباب، لابد أن أحدهم دخل غرفتى، ثم سمعته يغلق، من هذا الذى يرقد بجوارى يتنفس بصوت عالٍ، يعلو صدره ويهبط باضطراب، لابد وأنه يعانى ضيقًا فى التنفس، أشعر به وأسمع لهثاته، كأنه يركض فى صحراء جرداء، أرغب فى استطلاع الأمر، كلما كدت أفتح عيناى أغلقهما كارهة، وعندما نجحت فى فتحهما مرة واحدة رأيت كلبًا ضخمًا أسود اللون يقف بجوار فراشى يرمقنى بعنين حمراوتين يتطاير منهما الشرر، أحاول الصراخ فلا أستطيع؛ شئ ما قيدنى بالفراش وشل حركتى، فلا أستطيع التفوه بكلمة أو التحرك للجهة الأخرى، فجأة تبدّل الكلب لكائن غير بشرى مخلوق ذا ذراعين ورجلين له هيئة البشر لكن وجهه مخيف، أزرق اللون، أصفر العينين، شكله مرعب، يرمقنى بنظرات غاضبة، ثم بدأ يتضاخم ويتضاخم حتى أصبح هائل الحجم ، اقترب منى حتى كاد يتلاصق بى، وقال بصوت أجش كالرعد :

-لا تحاولى الفكاك منى، وحافظى على ولدى فحياتك وحياة أهلك مرهونة بسلامته.

-دعاء ... دعاء

أسمع نداءات آتية من بعيد،

-دعاء ... استفيقى يا ابنتى.

أعلم هذا الصوت جيدًا، إنه صوت أمى .

مـازال الكائـن المخيـف يرمقـنى بنظراتـه، وأشـار بغتـة ناحيـة البـاب قائـلًا بصـوت مرعـب :

-لن ينجدك أحد منى، وكل ما حدث كان برضاكِ .

أردت الـصراخ، وأردت تكذيبـه لأنـه هـو مـن خدعـنى، إلا أنـنى كنـت مكبلـة فلـم أسـتطع .

ارتفـع صـوت المنـادى، فاختفـى مـن أمامـى وفُـك قيـدى، واسـتيقظت لأجـدنى أتوسـد صـدر أمـى فى السـيارة الأجـرة الـتى تقطـع الشـوارع لبيتنـا .

تلـك الليلـة نامـت أمـى بجـوارى، ولا أذكـر أن أجفـانى غفلـت ولـو لوهلـة، وبينمـا أقلـب بـصرى فى سـقف الغرفـة تـارة، وأغمـض عينـاى كارهـة تـارة أخـرى، شـعرت بأنفـاس حـارة تلفحـنى حـتى كادت تخنقـنى، فقلـت بصـوت خفيـض حـتى لا تسـتيقظ أمـى :

-ابتعد عنى، أنا أكرهك، لعنك الله .

ظهـر أمامـى مـن عـدم شـاب الأحـلام الوسـيم، اقـترب مـن فـراشى، حـاول مسـك يـدى فأبعدتهـا وحاولـت النهـوض جالسـة، فلـم أسـتطع؛ إذ شـعرت بأنـنى مقيـدة بـلا قيـد، قـال هامسًـا بصـوت عـذب :

-مـا الـذى حـدث يـا عزيـزتى؟ كيـف تـلاشى عشـقنا؟! لابـد أن تـأتى معـى فهـؤلاء البـشر خطـيرون للغايـة .

ثـم وضـع يـده عـلى رأسى، حاولـت الـصراخ فلـم أسـتطع، وفجـأة وجدتـنى فى مـكان آخـر .

أرى انـدلاع النـيران فى مـنزل الشـيخ، أراه يحـترق حـتى تفحـم ، والشـيخ بداخلـه يـصرخ ويسـتغيث، لكـن لا معـين لـه فقـد هـرب أتباعـه، جذبـنى حـتى قربـنى منـه وقـال :

-هــذا سـيكون مصـير مــن يقــف بوجهــى، لمــا لا تنصاعــين لأوامــرى؟! ســأجعلك ملكــة، ســوف أجعلــك أفضــل مــن بــنى جنســك أجمعــين .

صرخت بأعلى صوت لى :

-لا أريد أن أكون أفضل منهم ، بل كل ما أتمناه أن أكون مثلهم .

قبـض عـلى فـكى بـين إصبعيـه، فسـمعت طقطقـة أَضراسى، وقـال بعدمـا تبـدل لـذاك الكائـن الأزرق :

-إذن سوف تذوقين العذاب الأليم .

ونطق اسم بصوت عالٍ، فظهرت أمامنا فتاة، دفعنى باتجاهها قائلًا :

-خذيها لمحبسها .

قالت بعدما انحنت له :

-سمعًا وطاعةً .

هنـا لـم أفـرق بـين نهـار وليـل، فالظلمـة دائمـة، والخـوف بـات رفيقـى والحـزن جليـسى، كـم تمنيـت المـوت، رغـم أنـى كنـت أعـرف أنـه قـادم لا محالـة؛ فقـد بـدأت بطـنى بالانتفـاخ، أعلـم أنهـا أيـام قاسـية سـوف أسـتريح بعدهـا، أو ربمـا أسـتريح بعدهـا !

بـين تـارة وأخـرى كنـت أرغـب بالتقيـؤ، فرائحـة تلـك الحجـرة الحجريـة بشـعة، حـتى الهـواء يـأتى محمـلًا بريـاح حـارة جافـة، وذات عتمـة فتـح بـاب

الزنزانة ودخلت امرأة بشعة الخلقة، فكت قيدى ودفعتنى أمامها حتى أدخلتنى قصر كبير، رأيته يجلس على كرسى كبير بجوار امرأة عندما رأتنى نظرت لى باشمئزاز رغم دمامتها، ثم نظرت له باحتقار، وقالت :

-سوف نعيدك لأهلك .

لم أعى ما تقول فقلد تمكن منى الإعياء كثيرًا فسقطت مكانى لا أعى شيئًا سوى أننى أتمنى أن تكون هذه النهاية .

أسمع كلمات مبهمة، وهمهمات صادرة من أصوات كثيرة متضاربة، وفجأة أفتح عيناى لأجدنى على فراشي وفى غرفتى، ويقف على جانبى رجلان وعند قدمى آخر، يهمهمون بكلمات مبهمة، وددت حينها لو استطعت قطع أعناقهم، فلقد كانت همهماتهم تلك تلهبنى وتحرق أحشائى، حاولت النهوض لتلقينهم درسًا فلم أستطع، فقد كنت مقيدة بحبال للفراش، تلك الأيام التى أمضيتها فى الظلام علمتنى الكراهية، أشعر بداخلى مظلم كقبر .

كنت أحترق وهم يرددون كلماتهم، تبينت ملابسهم بعد برهة، كانون يرتدون زياً أسود طويلاً ويضعون قلنسوة سوداء مرسوم عليها صليب على رؤسهم، ما أشهى منظرهم مقطعى الرؤس الآن وفجأة شعرت بقوة لا حدود لها تتمكن منى، فرفعت جسدى مرة واحدة فانفكت القيود وتحررت، أرى عيونهم حمراء تتقاطر منها الشرور، كم أبغضكم بنو البشر، فزعوا عندما فكت قيودى وارتفعت أصواتهم بالابتهالات، نهضت واقفة وأمسكت يد الذى يقف عند قدمى يرش مياه حارقة على جسدى، حاولوا تخليصه منى فلم يستطيعوا، فأنا أقوى وأعتى جذبته بشدة ناحيتى وأمسكته من عنقه ورفعته حتى كاد يلمس مروحة السقف ثم قبضت على قمة رأسه بيدى الأخرى ولففت رأسه للخلف، ثم ألقيته عليهما، صرخا مما حدث وأسرعا خارج الغرفة.

الظلمــة تغرقــنى بداخلهــا وتغــرق داخــلى، لا أعــرف لمــا أصبــح أهــلى يعاملونــنى بقســوة؟ لمــا صــاروا يخافــون مــنى؟!

إلا أننى أصبحت لا أبالى، فأنا الأن أقوى وأعتى .

أشــعر بــذاك الصغــير يتحــرك فى أحشــائى، كــم حاولــت الانتحــار وكنــت أفشـل كل مـرة، آخـر تلـك المـرات عندمـا حاولـت حـرق جسـدى، بعدمـا فشـلت فى إلقــاء نفسى مــن فــوق الســطوح، ســأحاول تــارة أخــرى فلقــد خبــأت ســكينًا حــادًا بــين ثيــابى دون ملاحظــة أمــى الــتى قاطعتــنى ولــم تعــد تهتــم بى، فقــط تفتـح البـاب تضـع لى الطعـام ثـم تغلقـه، أسـتطيع لـو شـئت الخـروج إلا أنـنى لا أريــد الحيــاة، فصحــوى كنومــى بــات مؤلمًــا، ولا أجــد لى معينًــا ينتشــلنى مــن هــذا الجحيــم ، آه لــو أســتطيع حــرق الكوكــب الأرضى بمــن يعيــش عــلى ظهــره، كيــف أتخلــص مــن عنــائى وأخلصهــم ؟ كيــف ؟

أشــعر بتعــب لا قبــل لى بــه، الليلــة ســأســتريح، أخــذت الســكين مــن بــين ثيــابى ووضعــت حــده عــلى يــدى وكــدت أقطــع لــولا صوتــه : - إيــاكِ أن تفعــلى، ســتقتلين طفــلى يــا حمقــاء .

حــاول نــزع الســكين مــنى إلا أنــنى كنــت أسرع منــه عندمــا وجهتــه لبطــنى ودفعتــه بكامــل قــوتى فتناثــرت الدمــاء.

تمت

سهير ربيع